حديث : " لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَاف أحدٌ" پر اشکال کیا جاتا ہے کہ : انبیاء سابقین کے حالات سے اگر تقابل کیا جائے تو وہ حضرات تو اس سے بھی زیادہ سخت حالات سے دوچار ہوئے، تو یہاں پر نفی کا کیا مطلب ہے؟

الجواب: اس باب کی سب سے پہلی روایات عرض کی جاتی ہیں، پھر اہل علم کی توجیہات پیش کی جائیں گی:

أولا : روايات الباب :

١ - رَوَى أَحْمَدُ [١٢٢١٢] وَالتِّرْمِذِيُّ [٢٤٧٢] وَابْنُ مَاجَهْ [١٥١] مِنْ طَرِيقِ حَمَّاد بْن سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَس قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَاف أحدٌ ... ﴾ الحَدِيث

٢ - وأخرج ابن عَدِيٍّ [الكامل في ضعفاء الرجال (٨/ ٤٨٤)] مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَفَعَهُ : ﴿ مَا أُوذِيَ أَحَدٌ مَا أُوذِيتُ ﴾. ذَكَرَهُ فِي تَرْجَمَةِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرٍ ، وَيُوسُفُ ضَعِيفٌ .[فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٦٦)]

٣- وفي الصحيحين البخاري [٣٤٠٥] ومسلم [١٠٦٢] من حديث عبد الله بن مسعود : ﴿ يرَحَمُ اللهُ أخي مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هذا فَصَبَرَ ﴾ .

٤ - وعند الترمذي [٢٣٩٨] وقال: حسن صحيح ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: ﴿ الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ

عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ﴾.

ثانيا : توجيهات العلماء لأمثال هذه الأحاديث ، وجوابهم عن شدة ما تعرَّض له الأنبياء السابقون من قتل وحرق وإجلاء ، وما تعرَّض له أصحابه الكرام من صنوف البلاء :

التوجيه الأول : التقييد بأوائل زمان الدعوة

١ - قال الزبداني المظهري في [المفاتيح شرح المصابيح ٥/ ٢٩٨] :

قوله: (لقد أُخِفت) ماض مجهول مِن أخاف بمعنى خُوِّف، يعني كنت وحيداً في ابتداء إظهاري الدين ، فخوَّفني في ذلك وآذاني الكفارُ . (في الله) أي في دين الله ولأجل إظهار دينه ، ولم يكن معي أحد يُرافقني في تحمُّل أذية الكفار حينئذٍ .انتهى كلامه.

واختار هذا التوجيه شُرّاح المصابيح كابن مَلَك [شرح المصابيح ٥/ ٤١٧] ، وكذا شراح المشكاة كالطيبي [الكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣٣١٧)] وعلي القاري [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٨٧)] حيث قال : (وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ) ، أَيْ : خُوِّفْتُ وَحْدِي وَأُوذِيتُ بِانْفِرَادِي ، أَيْ : كُنْتُ وَحِيدًا فِي ابْتِدَاءِ إِظْهَارِي لِلدِّينِ فَخَوَّفَنِي فِي ذَلِكَ وَآذَانِي الْكُفَّارُ الْمَلَاعِينُ ، وَلَمْ يَكُنْ مَعِي أَحَدٌ حِينَئِذٍ يُوَافِقُنِي فِي تَحَمُّلِ الْأَذَى إِلَّا مُسَاعَدَةُ الْمَوْلَى وَمُعَاوَنَةُ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى .

وتبعهم شراح الترمذي وابن ماجه والجامع الصغير للسيوطي . وعقد عليه ابن بلبان في "ترتيب صحيح ابن حبان" (١٤/ ٥١٥) هذه الترجمة : " ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُوذِيَ فِي إِقَامَةِ الدِّينِ مَا لَمْ يُؤْذَ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ فِي زَمَانِهِ " .

واختاره العلامة الگنگوهي في " الكوكب الدري" ٣/ ٢٩٢ فقال : الواو حالية في الموضعين ، أي أخافوني وآذوني في موضع وزمان لا يُخاف ولا يؤذَى فيه أحد . وقال في "اللامع" عند شرح حديث " قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هذا فَصَبَرَ" : أي هذا الكلام الذي بلغني منهم آنفا [اعدل يا محمد] لا أنه أوذي بأكثر مما أوذيتُ ، لأنه ينافي قوله "أوذيتُ في الله ما لم يؤذَ أحد" . قال مولانا زكريا معلقا : ظاهر ما أفاده الشيخ في "الكوكب" أنه جعل الحديث خاصا أي مخصوصا بوقت ومكان خاص ، وظاهر ما في "اللامع" أنه جعله عاما ، فتأمل .

التوجيه الثاني : شدة البلاء بحسب كثرة الأَتْباع

٢- قال المُناوِي في [فيض القدير (٥/ ٤٣١)] : قال بعضهم : البلاءُ تابعٌ لكثرة الأَتْباع ، وهو أكثر الأنبياء أَتْباعـًا ، وغيرُه من الأنبياء وإن ابتُلي بأنواع من البلاء ، لكن ما أُوذِيَ به أكثرُ ، لأنه كَمَا أكملَ له الدينَ أكمَلَ له الابتلاءَ ، لإرساله إلى الكافَّة ، لكن لمَّا كان مقامُه في العُلو يَسمُو على مقامِ غيره لم يَظهَر على ذاتِه كبيرُ أمرٍ .

فمعنى قوله "ما أوذي إلخ" أن دعوتَه عامَّةٌ ، فاجتمع عليه الاهتمامُ ببلاء جميع أمته ، فكمُلَ له مقام الابتلاء كما كمُل له الدين ، فكُلُّ بلاءٍ تفرَّق في الأمم اجتمَع له وابتُلي به .

التوجيه الثالث : شدة البلاء لسماع ما جرى للأنبياء السابقين

٣- في [فيض القدير (٥/ ٤٣١)] وقال الخَوَّاص: كان المصطفى صلى الله عليه وسلم كلَّما سَمِع ما جَرَى لنبي من الأنبياء من الأذى والبلاء ؛ يتصف به ، ويَجِدُه في نفسه كما وَجَده ذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، غيرةً على الدين .

ونحوه في [فتح الباري" (٧/ ١٦٦)] : قِيلَ مَعْنَاهُ : أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ مَا أُوذِيَ بِهِ مَنْ قَبْلَهُ ، فَتَأَذَّى بِذَلِكَ زِيَادَةً عَلَى مَا آذَاهُ قَوْمُهُ بِهِ .

التوجيه الرابع : يتأذى بما لحق أصحابه ، لكونه بسببه ولتعلقهم به

٤- في [فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٦٦)] وَأُجِيبَ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا أُوذِيَ بِهِ أَصْحَابُهُ كَانَ يَتَأَذَّى هُوَ بِهِ لِكَوْنِهِ بِسَبَبِهِ .

التوجيه الخامس: استثناء ازهاق الروح من صنوف الأذى

٥- في [فتح الباري (٧/ ١٦٦)] وَاسْتُشْكِلَ أَيْضًا بِمَا أُوذِيَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ الْقَتْلِ كَمَا فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا وَوَلَدِهِ يَحْيَى ؟ وَيُجَابُ : بِأَنَّ الْمُرَادَ هُنَا غَيْرُ إِزْهَاقِ الرُّوحِ .

التوجيه السادس: شدة البلاء لتعرضه لصنوف من الابتلاءات ، فالشدة بحسب التنوُّع

٦- قال ابن القيم في [مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٣٠١)] :

فَإِذا جِئْتَ إِلَى النَّبِي وتأملتَ سيرته مَعَ قومه وَصَبرَه فِي الله واحتمالَه مالم يحْتَملْهُ نَبِي قبله ، وتَلَوُّنَ الأحوال عَلَيْهِ مِن سِلْمٍ وَخَوفٍ وغِني وفقرٍ وَأمنٍ وَإِقَامَةٍ فِي وَطنه وظَعْنٍ عَنهُ وَتَركِه لله ، وَقتلِ أحبابه وأوليائه بَين يَدَيْهِ ، وأذى الْكفَّار لَهُ بِسَائِر أنواع الأذى من القَوْل

وَالْفِعْل وَالسِّحر وَالْكذب والافتراء عَلَيْهِ والبُهتان ، وَهُوَ مَعَ ذَلِك كُله صابرٌ على أمْر الله يَدْعُو إلى الله .

فَلم يؤذ نَبِي مَا أوذي وَلم يحْتَمل فِي الله مَا احتمله ، وَلم يُعْطَ نَبِي مَا أعطيه ، فَرفع الله لَهُ ذكره وَقَرَن اسْمَهُ باسمه ، وَجعله سيدالناس كلهم ، وَجعله أقْربْ الْخلق إليه وَسِيلَةً وأعظمَهُم عِنْده جاهـًا وأسمَعَهُم عِنْدَه شَفَاعَةً .

وَكَانَت تِلْكَ المِحَنُ والابتلاءُ عينَ كرامته ، وَهِي مِمَّا زَاده الله بهَا شرفا وفضلا وَسَاقه بهَا إلى أعلى المقامات . وَهَذَا حَال وَرَثته من بعده الأمثل فالأمثل ، كل لَهُ نصيبٌ من المحنة يَسُوقهُ الله بِهِ إِلَى كَمَاله بِحَسب مُتَابَعَته لَهُ .

وقال علي القاري في [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٨٧)] :

فَإِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ خُصُوصًا سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ، فَيَكُونُ بَلَاؤُهُ أَشَدَّ مِنْ بَلَائِهِمْ، وَيَكُونُ لِأَتْبَاعِهِ نَصِيبٌ عَلَى قَدْرِ وَلَائِهِمْ، وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ فِيمَا يَكْرَهُ وَيُحِبُّ .

التوجيه السابع: شدة البلاء للطافة مزاجه وكمال اعتداله :

٧- قال أبو الحسن البكري كما في [الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية (٤/ ٩٧)] : لا شك أن مزاجه الشريف النبوي من الاعتدال ، بالوصف الأعظم والحال الأكرم ، فلا جرم يكون إحساسُه بالآلام أكثر ووِجدانُه لآثاره أكبر ، ومن ثَم قال : إني لأوعَك كما يوعَك رجلان منكم ... انتهى .

وسبق في التوجيه الثاني : لكن لمَّا كان مقامُه في العُلو يَسمُو على مقامِ غيره لم يَظهَر على ذاتِه كبيرُ أمرٍ .

هذا ما وقفت عليه من كلام أهل العلم ، ومن عنده إضافة فلا يبخل علينا .